

خطاب صاحب الجلالة
بمناسبة الذكرى العشرين
لثورة الملك والشعب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

ها هي عشرون سنة قد مضت على اليوم الذي اندلعت فيه أول شرارة لثورة الملك والشعب، تلك الثورة التي أبت إلا أن تؤذن بسقوط الاستعمار وانهيار هيكله لا في المغرب فحسب، ولا في افريقيا الشمالية فحسب، ولكن في مجموع القارة الافريقية.

وإذا كان للمغرب ان يعتز بشيء فمن حقه أن يعتز لأنه كان له قصب السبق في جميع الميادين وحتى في هذا الميدان رسم الطريق وشق السبيل لاخوانه الافارقة حتى يتمتعوا بدورهم بالحرية والكرامة والاستقلال.

ولم نكن لنحرز هذا النجاح الباهر ولا أن نظفر بهذا الانتصار المشهور لو لم تكن الوحدة.وحدة متينة مرصوصة سارت بذكرها الركبان، وعاشت على صراطها المستقيم الأجيال والأجيال.

ميثاق أراده الله

إنها الآصرة القوية بين ملك ضحى وبين شعب ضحى، بين ملك وفي بما عاهد الله عليه، وشعب وفى بما عاهد الله عليه، ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقرر فيما يقرر للشعوب أن يكون قادتها في مستواها ليصير إذ ذاك الالتحام والالتئام، فلا الحاكم متسلط على المحكومين، ولا المحكومون متضجرون من الحاكم، بل هو ميثاق أراده الله فصوره في لوحه المحفوظ فأوحى به في قلوب عباده، فصار الجميع يلهج باسمه ويثني على اسمه ويسبح بحمده ويسير في طريقه ويعمل عمله اليومي وجهاده المستمر لنيل ماعليه أن ينال من عز وسؤدد وجد واجتهاد.

وإذا كانت فترة من تاريخ المغرب صورت ذلك الميثاق وصدزت ذلك الوحي الرباني الذي يوحي به الله سبحانه وتعالى في قلوب المؤمنين وعباده المسلمين بأن يتحابوا ويتوادوا، فهو مثال محمد الخامس طيب الله ثراه ومثال شعبي العزيز الذي أفتخر بأن أعُدَّ نفسي واحداً من أسرته الجليلة.

فقد ضربوا للتاريخ أروع الأمثال، وأعطوا للظالمين الفجرة أحسن الدروس، وسطروا في كتاب التاريخ وفي سجل الملاحم ما به يمكن لأجيالنا المقبلة أن تعيش في خضم زاخر للتاريخ الباهي الزاهر المجيد، ولكن رحمة الله على من التحق بربه وهدى الله من بقي منهم فوق هذه الأرض.

الثورة عمل يومي مستمر

ولكن علينا جميعاً أن نعلم أن تلك الثورة لم تكن في أذهان الذين ضحوا انتفاضة، فربما يتسرب إلى الذهن أن الثورة والانتفاضة شيئان مترادفان فأقول لا، الانتفاضة محدودة في الزمان والمكان، والثورة لا حد لها ولا ساحل حيث إنها عمل يومي مستمر، فلم يكونوا ليثوروا لو لم يعلموا أن ثورتهم سوف تبقى جارية في عروقنا، جارية منا مجرى الدم، مختلطة بخلايانا ومشاعرنا وشعورنا بل جعلناها إحدى شعائرنا، لم يكونوا ليخوضوا تلك الثورة لو أرادوا أن يتحرر المغرب فقط وأن يقفوا عند ذلك الحد، ولم يريدوا أن يعطوا درساً عسكريا للمستعمر لأن الدروس العسكرية في إمكان كل واحد أن يعطيها، ولكن أرادوا أن يعطوا لأنفسهم درساً ويلقنوا لأبنائهم دروسا حتى يمكننا ألا نرجع إلى مثل الحالة التى وجدنا عليها، وحتى يمكننا ألا نقع في الزلل والأخطاء التي وقعنا فيها في القديم.

وما هي تلك الأخطاء ؟

أولا : عاش المغرب لمدة من الزمن منكمشاً على نفسه غير متفتح على ما حوله من تيارات وأفكار وعلوم ونظريات.

ثانيا : لم يحتفظ بأصالته الحقيقية بل ترك ظهريا ما يكوّن مقوماته الوطنية وتعلّق بالقشور، تلك القشور المستوردة من الخارج حينما وصل إلينا الأجنبي ووجدنا فريسة سهلة.

ثالثا : تفرقوا شيعا وفرقوا وحدة صفوفهم وشتتوا شملهم فصاروا بذلك فريسة حلوة في فم المستعمر.

رابعا : شقوا عصا الطاعة وبذلك فقدوا العمود الفقري الذي حوله تجتمع الأعضاء وبه فقدوا ظل المظل الذي تحته يستظل كل مظلوم وكل ضعيف، وفقدوا بذلك الرمح الذي به يدافع عن حوزة الوطن وكرامة المواطنين، فصاروا بذلك متنكرين لماضيهم، متنكرين لدينهم، صاروا أمماً وشيعاً فتمكن للأجنبي أن ينال منهم ما يريد.

وإيانا ثم إيانا أن نعتقد أن الطبيعة البشرية قد تغيرت، أقول لكم لا، ان الطمع والأطماع هي كالشيطان، وكالوسواس تجري في بني آدم مجرى الدم.

فمازال الناس طامعين في المغرب، ومازال الاستعمار المقنع الجديد بأنواعه وصفاته ينتظر منا أن نَزِل، ينتظر منا أن نسقط على الأرض فيدوسنا بأقدامه، ويلتهمنا لقمة سائغة.

إيانا ثم إيانا أن نعتقد أن الجوهر قد ذهب، لا، الجوهر لم يذهب، وإرادة الاستعمار من جديد ما زالت هي واقفة، ولكن شكله ربما يرتدي أشكالا جديدة وأنواعا جديدة، لذا علينا أن نجمع مقوماتنا كلها حتى لا نترك ولو ثغرة واحدة، يتسرب منها الخطر.

علينا أن نستكمل استقلالنا

علينا أن نقيم تقييما دقيقا إمكانياتنا الاقتصادية والمالية والتجارية، فنخطط لها، حتى نبقى مالكين ثروتنا الحقيقية.

علينا أن نعمل ما في وسعنا، أن نستكمل استقلالنا، بجمع كل ما من شأنه أن يكون عنصراً من عناصر التقدم الاجتماعي، علينا بعد هذا من الناحية المادية أن نشرئب بأعناقنا وطموحنا إلى ما هو حولنا، فنتعلم التعليم الحقيقي الصحيح، ونخوض غمار العلوم، ونساير الأمم، حتى لا نبقى في المؤخرة.

علينا ونحن نغزو الجديد أن نبقى متشبثين بالأصيل ؛ لأن في الأصيل سنجد الفتوى لكل مشكل ألم بنا، سنجد تلك الفتوى التي ستقول لنا اعمل كذا أو لا تعمل كذا، لأن كذا مطابق لعبقريتك، وهذا مخالف لعبقريتك وشخصيتك.

علينا أخيراً أن نكون ديموقراطيي الطبع، بمعنى أن لا نريد بالقوة والتعسف، وأقول حتى بالمحاولات النكراء أن نطغى على إرادة الشعب، فنحاول استبدال حكم بحكم، والحالة أن الشعب قال كلمته ويقولها وسيقولها، فلم إذن نسير في هذا الطريق الذي هو مخالف لكل ديمقراطية، ومخالف للاسلام ؟ ذلك أن الاسلام جاء بالاجماع وإجماع المغرب هو متفق عليه فيما يخص نظام حكمه، ودواليب حكمه، والمسؤولين عليه في الحكم.

معركة كانت لله ولوجه الله

هذه شعبي العزيز، نظرة وجيزة على ما مررنا به مدة 20 سنة ، نظرة فلسفية، لم أكن أريد أن أجعلها نظرة لما حققناه أو للانتصارات التى نلناها، لأن هذه الفترة تحتاج إلى بيان وتحتاج إلى ما فوق البيان.

وأنا لا أشعر بنفسي ولا أشعر في نفسي القدرة على البيان الكافي والفصاحة الكافية لأعبر عن هذه الفترة التي اختلط شبابي فيها بكهولتي، واختلطت فيها أحلامي بمسؤولياتي، واختلط فيها جهادي كوزير وكأمين، وجهادي كمسؤول وكحامي حمى الملة والدين، إنها فترة عزيزة على كل من عاشها، عزيزة لأنها كانت طاهرة، فترة كانت لله ولوجه الله.

وحينما خاض والدنا المنعم وحوله جنوده الأشاوس من أبناء شعبه، حينما خاضوا هذه المعركة ما كانوا ينتظرون أنهم سينتصرون على عدوهم بعد سنتين ونصف، بل خاضوها مضحين بكل غال ونفيس.

إفعل كأنك أعزب

وإنني لأذكر ونحن في يوم 14 غشت سنة 1953، أنني في حديث مع والدي طيب الله ثراه بعد العشاء وكان في مدة تلك الأزمة يسهر الليل كثيراً كثيراً حوالي الساعة بين الحادية عشرة والثانية عشرة.

قال لي رحمة الله عليه :

إنني سأخوض معركة وأنا أعزل فلا جيش لي، ولا شرطة ولا مالية ولا وسائل، علما مني أن العدو أقوى، وعلما مني بأنني مثقل بأبناء وبنات، وسوف أزج بكم — ربما أنتم أبنائي وفلذات كبدي — سوف أزج بكم في هذه المعركة، ولا أدري ما سيكون المصير، ثم زاد وقال :

فلا أريد أن تعذلني ولكن أريد أن تفهمني ؟

فأجبته : يا سيدي افعل كأنك أعزب غير متزوج ولا أبناء لك ».

وكذلك كان، وكذلك فعل جميع الذين فعلوا ما فعلوا فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من مازال يعمل ومازال يجتهد ويكد، حتى نحقق ما قدر أن يحقق، وما أراد لنفسه أن يحقق.

شعبي العزيز

إنني أريد أن أخاطبك في مثل هذه الظروف، وفي كل سنة، وقلبي مفعم بالتفاؤل، وصدري مليء بالاستبشار، فأنا حقيقة متفائل جدا على مستقبلنا. ذلك أننا ولله الحمد، خططنا التخطيطات ورسمنا البرامج، نعم كل تخطيط هو ككل عمل بشري ناقص، وكل برنامج قابل للتحويل، قابل للتلقيح، قابل للتحسين، إلا أن اللبنة التي وضع عليها التخطيط، تشكل سياستنا المشتركة — شعبي العزيز — لأنني ما كنت لأزكيها لو شعرت ولو شعوراً خفيفا أنها لا ترضيك، لأنني منك وإليك، إذن هي سياستنا جميعا.

لبنة صحيحة مباركة

إن اللبنة التي تنبني عليها هذه السياسة لبنة صحيحة مباركة، ستعطي أكلها، وسوف تعطي أكلها في وقت أسرع، وفي ظرف أوجز ؛ إذا نحن تحلينا بالصراحة، وبالامانة وبالنزاهة الفكرية، وبوحدة الصف، وبوحدة الكلمة.

اللهم فكما اخترتني وجعلت مني الثاني فإنني أدعوك أن تبقيني لخدمة شعبي ورفاهيته ولعزه بانيا في حبه متفانيا، على دينك غيوراً وبشعائره معتنيا.

اللهم لا تخيب لنا آمالا، فعليك المعول في كل المثال.

اللهم إنك تعلم أن هذا الشعب شعب مسلم مؤمن، وأن قلبه طيب، وأن إحساساته طاهرة، نعم إنك تعلم يا رب أننا كجميع البشر وكجميع المخلوقات قد نقع في فترات من الطيش، ولكن تعلم أن الهداية مستقرة في أعماق قلوبنا، وأن تعلقنا بدينك تعلق ورثناه عن آبائنا وأجدادنا، بل رضعناه أمهاتنا.

فأتمم اللهم علينا نعمتك وآتنا من نصرك، وقو من عزائمنا، وزد في هدايتنا حتى نسبحك كثيراً ونشكرك كثيراً.

اللهم تغمد برحمتك المجاهدين الذين جاهدوا في سبيلك وفي سبيلنا نحن الذين ما زلنا على قيد الحياة.

اللهم جازهم كأحسن ما يكون الجزاء، وذلك بإدخالهم فردوسك وبإقعادهم في جوارك، وبأن تريهم وجهك.



اللهم أثبهم واجعلنا سائرين دائماً في ركابهم، مستنيرين بهديهم، إنك سميع الدعاء لا تخيب الآمال ولا ترد مطلباً آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الأحد 19 رجب 1393 ــ 19 غشت 1973